

وسائل الحجاج في خطب الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام)

م. هادي سعدون هنون العارضي*

المقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين محمد بن عبد الله وآله وصحبه المنتجبين.

يدرس هذا البحث موضوع الحجاج التي هي من الموضوعات القديمة وهي ايضا حظيت بعناية الدراسات الادبية الحديثة اعتمادا على التطور الحاصل في الدراسات النقدية الحديثة ولقد قسمنا البحث على تمهيد درسنا فيه الحجاج في اللغة والاصطلاح، ثم صار البحث الى ثلاث مباحث.

المبحث الاول لقد اختص في وسائل الحجاج الفكرية في خطب الامام علي بن الحسين (عليهما السلام) وتمت الدراسة على ثلاث فقرات الفقرة الاولى تناولت الدليل موضحة وجوده في النص المدروس ثم الفقرة الثانية الحجة ومعرفا اياها ودالا عليها من خلال النص المدروس والفقرة الثالثة درست البرهان وقدمت تعريفا له و اشارت الى وجوده وفعله في النص.

فيما تناول المبحث الثاني الوسائل العاطفية وتمحور حول اولاً : التحريك ثانياً: التفاعل ثالثاً : الاستجابة مشيراً الى فعلها في تحريك النفوس وفي تقديم الاستجابة للأفكار التي جاءت بها هذه الخطب.

اما المبحث الثالث فلقد تناول دراسة الوسائل البيانية التي جاءت في النص وكان لها تأثير واضح في تقديم المبادئ الحجاجية التي اعتمدها المنشئ

١. الوضوح والسهولة في نطق الألفاظ.

٢. الدقة والإجادة في تأليف الألفاظ ضمن المنظومة التركيبية.

٣. البناء الصوري وأثره في إستقطاب عقول و نفوس السامعين.



وعلى وفق تلك الفقرات البلاغية تعمق الباحث في دراسة التقنيات البيانية في خطب الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) وتثبيت مصاديق تلك النقاط بنماذج من النصوص الفنية، بعد ذلك جاءت مصادر ومراجع البحث، سبقتها خاتمة بنتائج البحث ومن الله التوفيق....

تمهيد:

فحج آدم موسى أي غلبه بالحجة ، واحتج بالشيء إتخذه حجة قال الأزهري :إنما سميت حجة ؛ لأنها تحج أي تقصد لان القصد لها واليها ، وكذلك محجة الطريق هي المقصد (والمسلك))^(١) وهذا النص يشير الى أن الحجاج هو المسلك الذي يوصل الى القصد ، وهو ايضا المخاصمة والمغالبة ، وهو يشير الى الصلابة في قول العرب ((رأس أحج أي صلب))^(٢) والصلابة مطلوبة في المخاصمة والدفاع عن الرأي وهو ما يسعى اليه كل متكلم او منشئ نص ما .

يعد الحجاج من الموضوعات القديمة التي تستمد قوتها من قدرة المرسل في إيصال رسالته للجمهور ودخلت تلك الموضوعات في الدراسات الحديثة ؛ لكونها تكتسب جدتها من المناهج النقدية والفلسفية الحديثة، وتحفظ بقدمها الذي نجده في كتب التراث العربي الفكري والأدبي، ومن أجل إجلاء الصورة وإبانة المدلول وجب علينا أن ننظر في :

الحجاج في اللغة:

أما في القرآن الكريم فقد وردت لفظة "حاج" وما اشتق منه في مواضع كثيرة منها ما ورد في قوله تعالى : ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ))^(٣) وقوله تعالى: ((لِيَأْتِيَ النَّاسَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةً))^(٤) ووردت في مواضع اخر، كان للسياق وللمناسبة اثر في الدالة وفي توجيه المعنى الى القصد الذي اشار اليه جل وعلا، وما ذكرنا لهذه الآيات الكريمة

جاء في لسان العرب ((حجج الحج القصد حج إلينا فلان أي قدم ، وحجه يحجه قصده، وقيل الحجة ما دوفع به الخصم ، وقال الأزهري :الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل حجاج أي جدل ، والتحاج التخاصم ، وجمع الحجة حجج وحجاج، وحاجه محاجة وحجاجا نازعه الحجة وحججه حجا غلبه على حجته ، وفي الحديث



وان جاء مختلطاً مع مرادفات مثل الجدل والمحاورة والخلاف وهذا ما يمكن ان نلمسه من نص ابن خلدون عندما يتحدث عن الجدل فيصفه بانه ((معرفة آداب المناظرة التي تجري بين اهل المذاهب الفقهية وغيرهم ،فانه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعاً ،وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج ،ومنه ما يكون صواباً ومنه ما يكون خطأ ،فاحتاج الائمة الى ان يضعوا آداباً واحكاماً يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول وكيف يكون حال المستدل والمجيب))^(٦) والنص كاشف للخلط بين المصطلحات المترادفة غير ان هذا لا يدل على عدم وضوح الدلالة عند جميع علماء العربية .فهذا باحث عربي هو محمد حسن فضل الله قد استبدل لفظة الجدل بالحوار في كتابه عن الحوار القرآن الكريم فهو يقول : إن الجدل ((تحول الى صناعة قد يقصدها الكثيرون لذاتها ،ومن اجل التدريب على الاخذ والرد والهجوم والدفاع في مجالات الصراع الفكري ...ليعطل قوة خصمه ،لا ليوصله الى الحقيقة او ليصل الى قناعة))^(٧) وهو هدف اي خطاب مهما اختلفت اوجه اخراجه الى المتلقي،

إلا استدلالاً على وجودها في النص القرآني ،وليس لتحديد المقاصد التي وردت لها فهذا خارج عن اختصاص البحث، وان الحجاج في القرآن الكريم قد جاء ((مفهوماً معبراً عنه بأشكال من العبارات والاساليب التي تروم الحوار وتهدف الى الاقناع بالبراهين والادلة العقلية والكونية والفطرية، وقد جمع القرآن الكريم كل تلك الدلالات في ضمنية جامعة هي " الحجة البالغة"))^(٥) وهذا المفهوم القرآني هو الذي سنعتمده لفهم الحجاج في الاصطلاح بعد ان ننظر فيما قدمه العلماء العرب والغربيين في هذا البحث الفكري الذي بدأ يستقطب الدارسين في شتى أصناف العلوم وأخصها العلوم الانسانية ؛ لما له من أهمية في احضار الدلالة وفي ايضاح الدليل وفي الاقناع والافهام.

الحجاج اصطلاحاً:

لم يكن مفهوم الحجاج خافياً على العلماء العرب فقد اشار كثير منهم الى الفهم الصحيح له ، بل وتحديده وتمييزه عن مرادفاته مثل الجدل والحوار ، فقد كان هذا المفهوم شاغلاً لتفكير الفلاسفة وعلماء اللغة والادب فقد كان عنواناً للمناقشة ولإبداء الآراء والمناظرة



أي لا بد من وجود قناة ناقلة للخطاب شفويا كان ام مكتوبا ذات صلة قوية واضحة بين الحجاج والخطابة ،اذ لا تقوم الخطابة بتأدية مقاصدها الا من خلال تقديم الدليل او الحجة او البراهين وكل ذلك مقترن بملاسات الواقع والمتلقين ، لأن ((صلة الحجاج بالخطابة مفضة الى سؤال مركزي مداره على الطريقة التي يمكن بها كسب تأييد المتقبل في شأن قضية ما أو فعل مرغوب فيه ،و معرفة السبيل الى اشباع مشاعره وفكره وحمله على ما يطلب اليه انجازه))^(٩) وان النص الخطابي الذي نتناوله بالدراسة قائم على تكثيف الحجة والدلائل من اجل قضية لا يحتمل فيها الشك او الاخفاء فقضية استشهاد الامام الحسين عليه السلام وبالحالة والكيفية المأساوية المعرفة تضع الخطيب وهو الذي عايشها بدقائقها وعرف ملاساتها وامتنح طرفها وصروفها ،فإنها تدعوه الى الكشف الصريح وبدون موارد او احياء انما الوضوح والابانة وتقديم الدليل المقنع بصحة الاهداف التي قامت من اجلها الثورة الحسينية وشرح عظم المأساة والكارثة التي حلت بالأمة الإسلامية عندما فرطت بأفضل الخلق على وجه المعمورة في

وعليه فالحجاج هو مجموعة الاساليب والوسائل التي بها يدرك الخطيب قصده ويحقق غايته في اقناع المتلقي او استمالاته لما يقدمه من اراء وافكار في شتى صنوف المعرفة، فالعملية الحجاجية تشير الى: ((وجود اختلاف بين طرفين ومحاولة كل منهما اقناع الاخر بوجهة نظره وذلك بتقديم الاسباب والعلل التي تكون حجة مدعومة أو داحضة لفكرة أو رأي أو سلوك ما))^(٨) فالحجاج يشترط وجود طرفين مختلفين وحجج وادلة وبراهين مختلفة توظف قد الاقناع او الافهام او التحريض ،او لتوضيح فكرة ما والدفاع عنها. وهناك طرق واساليب يتبعها المنشئ منها اساليب فكرية واخرى بلاغية وثالثة عاطفية وكل منها له وظيفة او مجموعة من الوظائف في النص او الخطاب.

المبحث الأول: وسائل الحجاج الفكرية في

خطب الإمام علي بن الحسين "ع"

إن أي نص إبداعي يقوم على تحقيق مجموعة من الغايات والمقاصد التي يهدف إليها المنشئ، وان اختلفت ظروف انتاج النص وتغيرت محدداته وتنوعت طرائق ظهوره بوصفه ظاهرة لسانية نصية ،يعتمد في تفسيرها على ما يفرزه الواقع والسياق والفهم المشترك



ولاشك احد من أهل الكوفة فيه ، لأنهم أقرب الى الحدث وألصق بالقضية وأدرى بالفاجعة واوعى بما لهذا البيت من حسن سيرة وخلق ، فمنهم من عايش عصره بخلافة الإمام علي (عليه السلام) أو صحبه أو سمع به من أقرب ناسه ، فليس العهد ببعيد ؛ لذلك صار الدليل الذي عرض دليلا لا ينقض، فحقق غرضا مهما في الخطاب وعليه استند فيما بعده من حجج دامغة ، جعلت الخطاب خطابا حجاجيا بامتياز. وهذا هو الدليل الأول ، أما الدليل الثاني الذي قدمه الامام في خطبته والذي ادانهم به هو مكاتبتهم للإمام الحسين (عليه السلام) بالقدوم عليهم وهم له جند كما يدعون ، إذ يقول: ((هل تعلمون إنكم كتبتم الى أبي وخذتموه))^(١٢) وجل السامعين المخاطبين يعلمون ذلك وان انكروه بألسنتهم لكن ما في انفسهم يشهد عليهم ولا يستطيعون دفعه عنهم، وان وسيلة الحجاج هذه قد استثمرت في نص شفوي له مقوماته وسياقه ، جعلته يمتلك خصائص فارقة :انه خطاب موجز ، إذ ((الحجاج الشفوي حجاج مختزل غير مطول ، فلا حاجة للخطيب ان رام اقناع جمهوره برأيه أو أطروحته الى الاسهاب والتطويل في بسط

زمانه، ولذلك جاء الخطاب مفعما بالحجج والدلائل على صحة موقف الامام ومن معه في دفاعهم عن قيم الاسلام وروحه السامية ، ومن هنا كان الخطاب قد سار على الشكل الآتي:

١- الدليل:

الخطيب يعمد دائما وابدا الى اسناد افكاره التي يقدمها على مسند راسخ في الدليل الذي هو ((عملية توجه التفكير العقلي بصورة يقينية ومقتعة ،وبذلك يتخذ الدليل صورة استدلال تصير فيه النتائج منسجمة مع المقدمات التي انطلقت منها))^(١٠) الخطبة التي قدمها الامام علي بن الحسين عليهما السلام في الكوفة وهم أسارى اذ يقول : ((أيها الناس، من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني ، فانا علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب...))^(١١) وهنا يستدل الإمام عليه السلام على عظم مكانته وسموها بالنسب الشريف فالتقديم بهذه الكيفية الواضحة يفعل في المتلقي فعل الصدمة؛ لما يعرف من سمات هذا البيت الشريف فهو (أي المتلقي) قد قدم اليه الدليل الذي لا يدانيه دليل آخر في أحقية هذا البيت بالاحترام والتوقير لا بالقتل والسلب ، وبذلك يكون الإمام (عليه السلام) قد وظف دليلا غير قابل للنقض



بعد ان قدم الدليل اردفه بتقديم الحجج الدامغة التي تكشف وتؤكد خطيئة أولئك القوم ، وهي قتل الإمام الحسين (عليه السلام) وسبي عياله، فالحجة لا يمكن إنكارها فهم متلبسون بذنبهم لا يستطيعون الانكار ودعواهم بالنصرة قد كشفتها رسائله وعهودهم ، فيما كشف فعلهم زيف ادعائهم ، اذ خاطبهم الإمام مقدما الحجة تلو الاخرى في تسلسل اراد به محاصرتهم والتأثير فيهم ، معتمدا في بعض حججه على اثاره القيم العربية لديهم وهي اثاره لا يستطيعون سماعهما ، لأنها من صلب القيم التي يعتزون بها ومنها قيم الوفاء بالعهد ، فالمحتج يريد إثبات آرائه ، لذلك لجأ الى رفض قيم الخيانة التي ظهر بها المخاطبون ويريد تأكيد أخرى مناقضة لها ؛ لان أي خطيب لكي يثبت موقفه ((يعتمد قيما ينتقيها بدقة بحيث تلائم أهدافه الحجاجية وغايات خطابه ... فترى المتكلم يرفض فكرة ما بحجة أنها تعرض قيمة معينة ويدعو الى موقف ما باسم قيمة محددة وينعى على الخصم سلوكا ما لأنه يتنافى مع قيمة واحدة أو مجموعة قيم))^(١٥) وهذا ما أثبتته الامام علي بن الحسين (عليه السلام) حين قال: ((أنا ابن من انتهكت حرمة ، وسلبت

الحجج وحشد الدلائل والبراهين لان التطويل أو الاسهاب يفترض من المتلقي قدرة على التركيز والانتباه وتتبع كل حلقات الحجاج ورصد كل العلاقات بين مفاصل النص وبين الادلة والبراهين والنتائج المؤدية إليها))^(١٣) وهذا ما نلمسه في خطبة الامام علي بن الحسين (عليه السلام) في الكوفة ، فقد جاءت مختزلة موجزة ، ولم تعتمد الا على دلائل محددة قادرة على تحقيق الغرض والايفاء بالمقصد الذي سعى اليه النص بكل ما حمل من ادلة عقلية وبلاغية سيكشف عنها البحث لاحقا.

٢- الحجة:

تعرف الحجة بأنها: ((استدلال موجه لتأكيد قضية معينة أو دحضها أو تفنيدها ، غير ان هناك من يرى أن لكل حجة دليلا))^(١٤) ومن خلال هذا التعريف يمكن ان نقول ان الحجة تتسم بخاصية التأكيد والتي لها طرقها اللفظية والمعنوية ، فضلا عن أنها تمتلك القدرة على احداث القبول او الرفض للفكرة التي يقدمها الخطيب او أي منشئ نص حجاجي مهما اختلفت اساليبه وصنفه الادبي، وفي الخطبة التي اشرنا اليها في المبحث السابق نرى ان الامام علي بن الحسين (عليه السلام)



تلك الفروقات وتعمل على إلغائها تماما ، إلا أننا مع الرأي الذي يرى أن البرهان ينتمي في الأصل إلى مجال الاستدلالات الاستنباطية المنطقية والرياضية بينما ينتمي الحجاج إلى مجال الخطاب الطبيعي كون أن العبارات التي ترد في الصياغة البرهانية ترد صارمة من دون مراعات للقيم الداخلية التي تتضمنها هذه العبارات كقولنا : (كل الأعداد الزوجية تقبل القسمة على اثنين وستة عدد زوجي) وهنا اكتفينا بالعودة لجملة من القوانين المنطقية وهذا ما لا نجده في الخطاب الطبيعي فهو لا يتحقق إلا من خلال باعتبارات داخلية محضة والمعنى المساق هو من يحدد الثبات من عدمه كقولنا (سينجح المهرجان ، فسيحضره المحافظ ونائبه، وعدد الحاضرين سيكون كبيرا) وفي تأمل الفرق بين القولين نجد المقولة الحجاجية الأولى يغلب عليها الجانب البرهاني في القانون المنطقي الرياضي ، في حين لا نجد تلك المنطقية والقدرة الفورية القادرة على الانتقال من المقدمات إلى النتائج ، كون هذا الانتقال يتم من خلال الإستناد مدلول الحجج المطروحة ، وهناك فروق كثيرة لا مجال لذكرها توضح الفرق بين الحجة والبرهان^(١٨) إلا أننا لا بد من

نعمته، وانتهب ماله ،وسبي عياله، انا ابن المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ولا ترات ،انا ابن من قتل صبيرا ،فكفى بذلك فخرا))^(١٦) فرفض قيمة القتل والظلم الذي اقترفته أيدي الظالمين ، ومن ثم أكد قيمة أخرى وهي قيمة الشجاعة والثبات على المبادئ التي عبر عنها بقوله: ((فكفى بذلك فخرا)) ولا تفتخر العرب الا بالثبات والشجاعة وهي قيمة عليا عندهم ، وبذلك يكون الخطاب قد فند حججهم واكد حجته بما اثاره من قيم يعتزون بها ،اذ تمكن الخطاب من التأثير في نفوسهم ؛ لأنه استطاع مخاطبة واستثارة القيم التي يفتخرون بها، فهم قدموا قيم الغدر وأخروا قيم الوفاء ، وهذا ما لا يريدون سماعه، لكن الخطاب قد استند الى هذه الحجة التي راها قادرة على التأثير لا بل التغيير، الذي تحدث عنه راوية الحث.

٣- البرهان:

يعرف البرهان بأنه: ((إستنباط يوجه لتأكيد أو إثبات سبق نتيجة ،وذلك بالاستناد الى مقدمات معترف لها بميزة الصدق أو الحقيقة))^(١٧) وغالبا ما يخلط بين البرهان والحجة في الكتابات المعاصرة والتي تقلل من



الإشارة بأن هناك من المواضع ما ترتقي لمستوى البرهان حتى وإن كانت داخلة في مجال الخطاب اللغوي ، كونها مجموعة من الشرائع والمعتقدات والقيم والمبادئ الراسخة عند الجمهور وهذا ما نجده في النصوص القرآنية المباركة والأحاديث النبوية الشريفة وحتى أقوال صحابة رسول الله المنتجبين واهل بيته المعصومين ، فإذا كان البرهان يعتمد على دليل صائب أو مجموعة من الحجج الدقيقة فان ما قدمه الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) في خطبته يعد كافياً للبرهنة على جريمة القوم وخسة طباعهم ، ودناءة سلوكهم وفعالته الشنيعة، والبرهان الذي قدمه الإمام هنا هو قتلهم للحسن (عليه السلام) فخاطبهم قائلاً ((فتبا لما قدمتم لأنفسكم ، وسوأة لرأيكم ، بأية عين تنظرون الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اذ يقول لكم : قتلتم عترتي وانتهكتم حرمتي ، فليست من أمتي))^(١٩) وهذا الدليل كاف لإدانتهم وكشف سوء عملهم وإبطال أحوثهم وتعرية أفكارهم ونقضها ، ولا يحتاج الى الإكثار من الأدلة ؛ لأنه ((في الاستدلال البرهاني يكفي إيراد دليل واحد لتكون النتيجة مثبتة أو منفية))^(٢٠) وان الاكتفاء بدليل واحد لا

يتم إلا في حالات البرهنة الرياضية الدقيقة ، فيما نحن أمام حالة اجتماعية ، وهذا يدل على ان صدق الحالة وقوة الحجة والدليل هي بمثابة الدليل العلمي الذي لا يمكن نقضه أو إنكاره ، وكيف يستطيعون إنكار جريمتهم وفي هذا الخطاب الحجاجي قوة واضحة في الدليل وصدق البرهان ، وهو يستطيع ان يحدث ما قصده وسعى اليه وان اختلفت آراء الطرفين : الخطيب والمتلقين، اذ ان العملية الحجاجية تشير الى وجود اختلاف بين الطرفين ، ومحاولة كل منهما اقناع الآخر بوجهة نظره ، وذلك بتقديمك الأسباب والعلل التي تكون حجة مدعومة أو داحضة لفكرة أو رأي أو سلوك ما^(٢١) ولقد استطاع خطاب الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) في الكوفة ان يدحض حجج المتلقي ، ويثبت حجته في طرح منطقي متسلسل اعتمد التدرج في تقديم الدليل والحجج بما عزز من قدرة الخطاب وبما منحه القابلية على فعل الإثارة والتغيير في نفوس المخاطبين ، وعبور الزمن مع كل من رأى في خطاب أعداء الحسين (عليه السلام) حجة يتمسك بها ليواري سوءته ، فالخطاب عابر للزمان



- الإستجابة.

ولما كان الخطاب الحجاجي مؤسسا على الخلاف بين المتلقي والمنشئ فيسعى الأول جاهدا ؛ لإيجاد منهج في الإتصال غايته إستمالة عقول الآخرين والتأثير فيهم ((أي أن أي نص أو خطاب لا بد أن يكون مؤسسا على خطة حجاجية تهدف إلى الإقناع بطرح معين ، أو إلى جذب المتلقين الأكفاء لإثراء النص ومحاورته))^(٢٣)

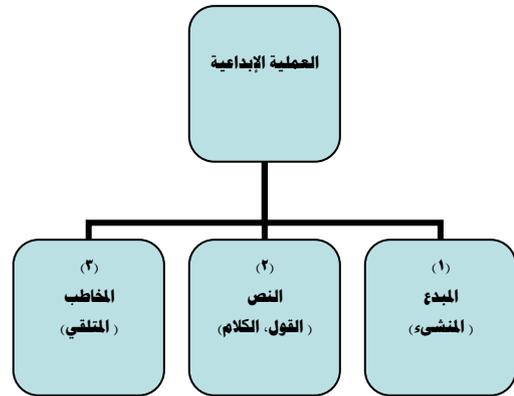
ومن هنا نجد أن وسيلة الحجاج العاطفية متوافرة في خطب الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) من خلال حالة إثارة وتحريك الانفعال عند المتلقي وهذا ما يبدو لنا في قراءة خطابه في الكوفة بعد مقتل أبيه في كربلاء والذي ينقل فيها بعد أن : ((حَمَدَ اللهُ وَأَتَى عَلَيْهِ، وَذَكَرَ النَّبِيَّ ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفَنِي فَأَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، أَنَا ابْنُ مَنْ أَنْتَهَكْتَ حُرْمَتَهُ، وَسُلَيْتَ نِعْمَتَهُ، وَأَنْتَهَبَ مَالَهُ، وَسَبَيْ عِيَالَهُ، أَنَا ابْنُ الْمَذْبُوحِ بِشَطِّ الْفُرَاتِ مِنْ غَيْرِ دُخْلِ وَلَا ثَرَاتِ، أَنَا ابْنُ مَنْ قُتِلَ صَبْرًا، فَكَفَى بِذَلِكَ فَخْرًا، أَيُّهَا النَّاسُ، فَأُشَدِّكُمْ اللهُ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ كَتَبْتُمْ إِلَيَّ

والمكان بصدق وفاعلية متجددة ،أيما تجدد الصراع بين الحق والباطل.

المبحث الثاني: الوسائل العاطفية في

خطب الإمام علي بن الحسين (ع)

لا شك في أن العملية الإبداعية للنصوص الفنية تقوم على أركان أساس يتقدمها المنشئ ويليهما النص والمتلقي على وفق علاقة تفاعلية متبادلة يقودها من خلال الإهتمام بالكشف عن موهبته المستقاة من فطرته وبيئته وقدرته على الإبداع والتأثير ؛ لكونه الركن الأساس في العملية الإبداعية^(٢٢) الموضحة في الرسم الآتي:



فيحرص المبدع من خلال ذلك على التأثير في المخاطب بوسائل عدة ومنها الوسيلة العاطفية التي تركز للحصول على مكاسب التأثير بأدوات كثيرة من بينها :

- التحريك.

- التفاعل.



أَبِي وَخَدَعْتُمُوهُ؟ وَأَعْطَيْتُمُوهُ مِنْ أَنْفُسِكُمْ الْعَهْدَ
وَالْمِيثَاقَ وَالْبَيْعَةَ وَ [قَتَلْتُمُوهُ] (٢٤)، فَتَبَّأَ لِمَا
قَدَّمْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ، وَسَوَاءَ لِرَأْيِكُمْ، بَأَيَّةِ عَيْنٍ
تَنْظُرُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، إِذْ يَقُولُ لَكُمْ: قَتَلْتُمْ
عِتْرَتِي وَانْتَهَكْتُمْ حُرْمَتِي، فَلَسْتُمْ مِنْ أُمَّتِي .

قال : فارتفعت الأصوات من كل
ناحية، ويقول بعضهم لبعض : هلكتم وما
تعملون....)) (٢٥)

قبل الخوض في استقراء النص و ردة
فعل القوم لابد من الإشارة بأن على المنشىء
مراعات نوع الخبر المقدم للمخاطبين وتحديد
ومن ثم بناء العلاقة الترتيبية في السلم
الحجاجي الذي يعرف على أنه : ((مجموعة
غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية
وموفية بالشرطين التاليين:

١- كل قول يقع في مرتبة ما من سلم يلزم عنه
ما يقع تحته ، بحيث تلزم عن القول الموجود
في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه .

٢- كل قول كان في السلم دليلا على مدلول
معين كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه)) (٢٦)
ويبدو لنا من النص الذي بين أيدينا أن
المنشىء يدرك تماما بأن المتلقي جاحد ومنكر
للخبر والنسب الذي سيقدم إلا أنه بدأ به على

وفق سلم حجاجي متصاعد في الطرق على
أسماعهم بالنسب العتيد الذي ينتمي إليه
المنشىء والذي لا يختلف على سموه
المخاطبون (أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ
عَرَفَنِي، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي فَأَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ
بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، ...)) والذي يؤكد
ذلك أنه لم يفصل في نسبه كما فصل في خطبة
الشام الذي يقول فيها : ((فَمَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ
عَرَفَنِي، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي أَنْبَأْتُهُ بِحَسْبِي وَنَسْبِي،
أَنَا ابْنُ مَكَّةَ وَمَنِي، أَنَا ابْنُ زَمْزَمَ وَالصَّفَا، أَنَا
ابْنُ مَنْ حَمَلَ الزَّكَاةَ بِأَطْرَافِ الرِّدَاءِ، أَنَا ابْنُ
خَيْرٍ مَنْ انْتَرَزَ وَارْتَدَى، أَنَا ابْنُ خَيْرٍ مَنْ انْتَعَلَ
وَاحْتَفَى، أَنَا ابْنُ خَيْرٍ مَنْ طَافَ
وَسَعَى....)) (٢٧).

ولعل السبب في ذلك يعود؛ للمقام الذي
يستدعي أن يواكبه المقال ، والمتمثل في قلة
من عرفه في الشام وكثرة من عرفه في الكوفة
التي كانت قريبة على الحدث وبها كانت خلافة
جده علي بن أبي طالب وبها دار أبيه الحسين
وهم يعرفونه جيدا ؛ لذا فذكر نسبه مباشرة ؛
لما لذلك من تأثير في استمالة نفوسهم وإثارة
عواطفهم التي أماتها الجاه والمال، لذلك توجب
إعدادهم نفسيا للقادم من القول وفي ذلك

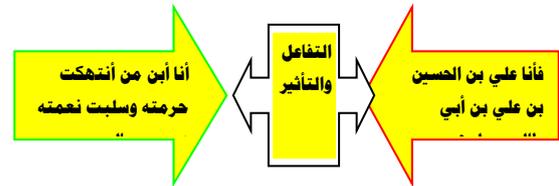


ولا يخفى على من يعيش النص كيفية الترابط والتفاعل بين السلمة الحجاجية الأولى والثانية وما تحدثه من تأثير متصاعد في العاطفة فهما متفاعلان لتحقيق هدف التأثير من خلال التداخل اللصيق الذي رسمه التركيب الأول والتركيب الثاني كما في الرسم أعلاه ، والذي يبدو من خلاله أن التفاعل والتأثير الحاصل كان له موجباته من خلال قيمتي النسب الذي لا يتساوى مع بقية الأنساب في الشرف والرفعة ومن ثم فإن انتهاك حرمة تثير عند المتلقي انفعالا قويا ومتصاعدا كون عملية السبي والظلم وإنتهاك الحرمة تحصل لا لنسب بسيط ؛ بل هو لأبن حامي حمى المسلمين والذاد عن حرمهم والمتصدي الأول للفوضوية المشتركة و المتمسكة بدين القوة لا بسطوة القيم والأخلاق ، وهذا ما يدركه المتلقي وينكره في الوقت ذاته ، ولكن الأمر الذي لا يمكن للمخاطب إنكاره ، استدعاؤه للحوادث الماضية المتمثلة بتلك الشخصية وقد يصل الأمر إلى وضعه فرضية ذهنية تتخيل حال المسلمين في حال الهزيمة في يوم بدر أو في معركة الخندق وغيرها من المعارك التي سجلت انتصار

استنكار للقوم لا تعريف، على عكس مقال ومقام خطاب الشام الذي جمع فيه بين التعريف والتذكير ، لاستلهاً واسترجاع القيم التي توارثها أبناء هذه العائلة في نفوس وأذهان القوم .

ومن أجل تعميق العاطفة وزيادة الانفعال في تلك النفوس انتقل إلى مسلك أو سلمة حجاجية أخرى يتفق على قدسيتها جميع المخاطبين وهو (انتهاك الحرمة) والتي تتنافى مع أخلاقيات العربي وقيمته المتوارثة بقوله : ((أَنَا ابْنُ مَنْ انْتَهَكْتُ حُرْمَتَهُ، وَسَلِبْتُ نِعْمَتَهُ، وَانْتَهَبَ مَالَهُ، وَسَبِيَّ عِيَالَهُ،...)) .

وهي انتقالاً انفعالية ذات قيمة حجاجية عليا ، كونها استهدفت جوانب اعتقادية لا تخلو من الاستدلال العلمي المرتبط ببعض القيم الإنسانية مثل الشهامة والمروءة والتضحية والتي من شأنها إحداث الانفعال والتأثير عندما تهتك ، لا سيما وهي تنتمي إلى سلالة مقدسة، ولنضع رسماً لتلك الانتقالة في السلم الحجاجي



الإيمان كله على الشرك كله فكيف ستكون حرم المسلمين؟

ومن الطبيعي أن تلك الأحاسيس والفرضيات والاستدعاءات الصورية تفرض على المتلقي إنفعالا عاطفيا فرضته الحجة التي يكون في حال فرضها خروج المتلقي من عربوبته وقيمها السامية ، فمسألة المروءة عند العربي ((كمال الرجولية ، ومن المروءة : الحلم ، والصبر: والعفو عند المقدرة، وقرى الضيف، وإغاثة الملهوف ، ونصرة الجار ، وحماية الضعيف، فإذا تمثلت أمثال هذه السجايا في رجل ، كان كاملا عظيم الشأن في قومه...))^(٢٨).

ومن أجل إكمال مراحل السلم الحجاجي وإيصال الانفعال والتفاعل مع الحدث (الذروة) قدم حجة أخرى في قوله عليه السلام : ((أنا ابنُ المَذْبُوحِ بِشَطِّ الفُرَاتِ مِنْ غَيْرِ دُخْلِ وَلَا تُرَاتِ....)) وهي بمثابة انتقاله مرحلية أخرى هدفها الطرق على إنموذج آخر من القيم للحصول على إنفعال مقابل يفرضه الموقف والقيمة المطروحة ، ولا يخفى على المتلقي ما تحدّثه مفردة (مذبوح) من إثارة للعواطف الإنسانية بغض النظر عن كل ما تحمله النفوس

من ضغائن ، بل أردف أن المذبوح مات عطشانا والماء بقربه وكذلك من غير ذنب أو جريمة ، ولما كانت مهمة فهم النصوص الإبداعية تتمثل في : ((السعي لكشف الغامض والمستتر من خلال الواضح المكشوف اكتشاف ما لم يقله النص من خلال ما يقوله بالفعل))^(٢٩) ، فلنفرض الخطاب الحجاجي القائم بين الطرفين (بحلّة منازل) بين المنشئ والمتلقي فماذا سنجد؟

نجد أن هناك ضربات متتالية محسوبة على وفق خبرة المنازل ، موجهة إلى المخاطب لإحداث التغيير من عدم التوازن في الأفعال إلى التوازن القائم على قناعاتهم الحقيقية لا على الإرادة المسلوقة وهذا لا يتغير إلا من خلال التوظيف السليم للغة ، لكون ((... أن النص ليس هو المعنى ، بل هو ذلك الوسيط الضروري الذي بوعيه تتمكن الذات من وعي نفسها))^(٣٠) ، فليس من السهولة إثارة العاطفة وإستمالة القلوب التي تجلّت بالتجاوز على كل الأعراف والتقاليد والقيم الإنسانية من دون حنكة ودراية تروض تلك النفوس وتعيد برمجتها من جديد وفق القيم الإنسانية الحميدة وذلك من خلال ضربات منظمة مبنية على



فيما لو وظف كمرحلة أولى للتأثير في
المخاطبين لماذا؟

لكون المخاطب يعرف جيدا كما مر ذكره
صلة المذبوح بالرسول ومكانته عند الله فهو لا
يأبه بذلك كون القصدية واضحة في الفعل، ولم
تؤثر فيه حضور هذه القيمة أثناء المعركة هذا
من جانب، ومن جانب آخر أن المخاطب
يعيش حالة عدم التوازن والفقدان لكل القيم
الدينية والإنسانية وبهذا لا بد من البحث عن
قيمة أخرى ومحرك آخر كما أشرنا في مرحلة
(التحريك)) العاطفي في النظرية الحجاجية.

هذا كله يحتم على المنشئ ضرورة تحديد
المنفذ للولوج إلى تلك النفوس ومن ثم بحث عن
بدائل أخرى طرحت في ما سبق من البحث،
وجهت إليها ضربات قاصمة أعادت المتلقي
إلى وعيه بعد تعميق الحجة وإثباتها فنتجت لنا
مرحلة جديدة أطلقنا عليها مرحلة ((الإستجابة
((وقد تمثلت في ما ذكره الراوي بأنه : ((
ارتفعت الأصوات من كل ناحية، ويقول

بعضهم لبعض : هلكتم وما تعملون....)) (٣٣)

ولا شك من أن استثمار المنشئ الأمثل
للتقنيات الخطابية والاستراتيجيات الشخصية
وعلى وفق سلم حجاجي علمي أثمرت عن

أساس ((تقنيات الخطاب التي من شأنها أن
تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها
من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك
التسليم)) (٣١)

وقد يسأل سائل فيقول قد يكون ما نقوله
يعد تنظيرا أكثر منه تطبيقا؟ فيمكن الإجابة
على هذا التساؤل ببعض الأسئلة التي قد تفتح
الأفاق أمام المتعمق في النص منها:

*- إن المعركة التي قامت بين الطرفين أساسها
الجانب الديني وبالتالي من المفروض أن
يبدأ المنشئ بالاستدلال وتقديم الحجة من
القرآن الكريم أو الحديث النبوي فلماذا لم
يوظف هذا الجانب ووظف جانب القيم
والتقاليد السارية؟

*- لم يوظف الجانب الديني لإثارة عواطفهم
وأخر هذا الجانب لوقت آخر؟ والذي قال
فيه: ((بَأَيِّ عَيْنٍ تَنْظُرُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ،
إِذْ يَقُولُ لَكُمْ : قَتَلْتُمْ عَتْرَتِي وَأَنْتَهُكُمْ حُرْمَتِي،
فَلَسْتُمْ مِنْ أُمَّتِي)) (٣٢).

وقد يتفق معنا السائل في الإجابة بأن
المنشئ يدرك تماما بأن التوظيف الديني
لإقامة الحجة في هذا الموضع لن يجدي نفعا



البلاغية والابلاغية، لذا نجد أن التوظيفات البيانية، لا تفارق النصوص الإبداعية ؛ لكون أن ((حسن البيان في الكلام على مراتب فأعلاها مرتبة ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسن في السمع ، ويسهل على اللسان وتتقبله النفس تقبل البرد ، وحتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقه من المرتبة))^(٣٥) ، ويدرك أصحاب النصوص الإبداعية ذات الحجج المؤثرة هذه المنزلة فيعملون على توظيف البيان من خلال التأكيد على أسسه الرصينة والفاعلة والمتمثلة بمجموعة من الخصائص منها:

١. الوضوح والسهولة في نطق الألفاظ ، ومن هنا وجدنا جملة من المعايير التي اعتمد عليها نقاد البيان في هذه المسألة
٢. الدقة والإجادة في تأليف الألفاظ ضمن المنظومة التركيبية ؛ ولما لذلك من في أذن المتلقي واستمالة السمع.
٣. البناء الصوري وأثره في استقطاب عقول ونفوس السامعين.

ومن خلال ما تقدم من البحث يمكننا القول بأن هناك علاقة لصيقة بين (البيان) و (الحجاج) على أن الأخير يتواشج في جذره بما

استجابة وقبول الحجة والاعتراف بالخطأ وهو الغاية المنشودة في ((كل حجاج أن يجعل العقول تدعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان ، فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب ، أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهينين لذلك العمل في اللحظة المناسبة))^(٣٤) فنجح المنشئ في توظيف الجانب العاطفي للإقناع وتثبيت الحجة ، بانتقالاته بين سلالم الحجاج العاطفي وكما موضح في المخطط الآتي:

أنا ابن المذبوح بشط الفرات من غير دخل ولا فرات

أنا ابن من انتهكت حرمة وسلبت نعمته وسبي عياله

فأنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)

المبحث الثالث: الوسائل البيانية في

خطب الإمام علي بن الحسين (ع)

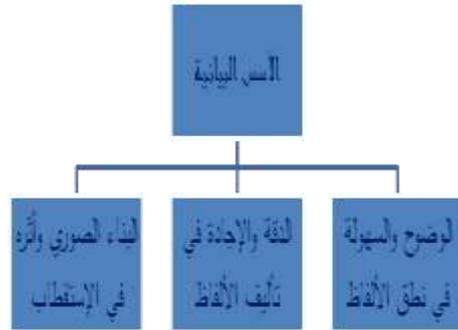
يعد الجانب البياني سندا قويا ، يقف عليه المنشئ ؛ لاستمالة المتلقي والتأثير فيه لما ينماز به من قدرة على إخراج النص بما يمكن أن يجعله نسا مكتملا من الناحيتين



خطب الإمام كافة ، وإنما نكتفي بعرض وتحليل بعض النماذج ؛ لكون هذا القضية تحتاج لدراسة موسعة ، تصلح أن تكون مشروع لدراسة الماجستير ومن هذه النصوص خطبته المشهورة في الشام التي يقول فيها بعد حمد الله والثناء عليه: ((أَيُّهَا النَّاسُ، أُعْطِينَا سِتًّا وَفُضِّلْنَا بِسَبْعٍ، أُعْطِينَا الْعِلْمَ وَالْحِلْمَ وَالسَّمَاخَةَ وَالْفَصَاخَةَ وَالشَّجَاعَةَ وَالْمَحَبَّةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَفُضِّلْنَا بِأَنَّ مَنَا النَّبِيَّ الْمُخْتَارَ مُحَمَّدًا ، وَمَنَا الصِّدِّيقَ، وَمَنَا الطَّيَّارَ، وَمَنَا أَسَدَ اللَّهِ وَأَسَدَ الرَّسُولِ، وَمَنَا سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ فَاطِمَةَ النَّبُولِ، وَمَنَا ((سَبْطًا هَذِهِ الْأُمَّةِ وَسَيِّدًا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

فَمَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفَنِي أَنْبَأْتُهُ بِحَسْبِي وَنَسْبِي، أَنَا ابْنُ مَكَّةَ وَمَنْ، أَنَا ابْنُ زَمْرَمَ وَالصَّفَا، أَنَا ابْنُ مَنْ حَمَلَ الزَّكَاةَ بِأَطْرَافِ الرِّدَاءِ، أَنَا ابْنُ خَيْرٍ مَنْ انْتَزَرَ وَارْتَدَى، أَنَا ابْنُ خَيْرٍ مَنْ انْتَعَلَ وَاحْتَقَى، أَنَا ابْنُ خَيْرٍ مَنْ طَافَ وَسَعَى، أَنَا ابْنُ خَيْرٍ مَنْ حَجَّ وَلَبَّى، أَنَا ابْنُ مَنْ حُمِلَ عَلَى الْبُرَاقِ فِي الْهَوَاءِ، أَنَا ابْنُ مَنْ أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، فَسُبْحَانَ مَنْ أُسْرِيَ، أَنَا ابْنُ مَنْ بَلَغَ بِهِ جِبْرَائِيلُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى أَنَا ابْنُ

تتطلبه وتستدعيه أساليب اللغة من جهة وكذلك قدرة المتعاطي للبيان في توظيف تلك المعطيات اللغوية لخدمة الموقف فالعلاقة متبادلة بين الإثنين لحصد ثمار النجاح وتحقيق الهدف أو الغاية المنشودة القائمة على التأثير في المخاطبين وإقناعهم. ومن هنا فعلى المنشئ مراعاة الأسس البيانية لتحقيق غاياته المنشودة في التأثير وإثبات الحجة على وفق الأسس التي يمكن أن نلخصها في المخطط الآتي:



وهنا تطرح قضية مبحثنا المتمثلة في كيفية توظيف الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) الأساليب البيانية؟ ، وكيف وظف قدراته الأسلوبية وحججه؛ لإحداث التأثير والإقناع في المخاطبين ؟

وقبل الخوض في تحليل النصوص الخطابية ، لابد من الإشارة بأن دراستنا لا تشمل القدرات الأسلوبية والتوظيفات البيانية في



مَنْ دَنَا فَتَدَلَّى، فَكَانَ مِنْ رَبِّهِ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، أَنَا ابْنُ مَنْ صَلَّى بِمَلَائِكَةِ السَّمَاءِ، أَنَا مَنْ أَوْحَى إِلَيْهِ الْجَلِيلُ مَا أَوْحَى، أَنَا ابْنُ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى، أَنَا ابْنُ عَلِيٍّ الْمُرْتَضَى، أَنَا ابْنُ مَنْ ضَرَبَ خَرَاطِيمَ الْخَلْقِ حَتَّى قَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَنَا ابْنُ مَنْ ضَرَبَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ بِسَيْفَيْنِ، وَطَعَنَ بِرُمَحَيْنِ، وَهَاجَرَ الْهَجْرَتَيْنِ، وَبَاعَ الْبَيْعَتَيْنِ، وَصَلَّى الْقِبْلَتَيْنِ، وَقَاتَلَ بَبَدْرٍ وَخُنَيْنِ، وَلَمْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، أَنَا ابْنُ صَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَارِثِ النَّبِيِّينَ، وَقَامِعِ الْمُلْحِدِينَ، وَيَعْسُوبِ الْمُسْلِمِينَ، وَنُورِ الْمُجَاهِدِينَ، وَزَيْنِ الْعَابِدِينَ، وَتَاجِ الْبَغَائِيِّينَ، وَأَصْبِرِ الصَّابِرِينَ، وَأَفْضَلِ الْقَائِمِينَ مِنْ آلِ يَاسِينَ، رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَنَا ابْنُ الْمُؤَيَّدِ وَالْمَنْصُورِ بِمِيكَائِيلَ، أَنَا ابْنُ الْمُحَامِي عَنِ حُرْمِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَاتِلِ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ، وَمُجَاهِدِ أَعْدَاءِهِ النَّاصِبِينَ، وَأَفْخَرَ مَنْ مَشَى مِنْ فُرَيْشٍ أَجْمَعِينَ، وَأَوَّلَ مَنْ أَجَابَ وَاسْتَجَابَ اللَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَقْدَمَ السَّابِقِينَ، وَقَاصِمِ الْمُعْتَدِينَ، وَمُبِيدِ الْمُشْرِكِينَ، وَسَهْمِ مَنْ مَرَامِي اللَّهِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ، وَلِسَانِ حَكَمَةِ الْعَابِدِينَ، وَنَاصِرِ دِينِ اللَّهِ، وَوَلِيِّ أَمْرِ اللَّهِ، وَبُسْتَانَ حِكْمَةِ اللَّهِ، وَعَيْبَةِ عِلْمِ اللَّهِ، سَمْحُ سَخِيٍّ، بُهْلُولُ زَكِّيٍّ أَبْطَحِيٍّ،

رَضِيٍّ مَرَضِيٍّ، مِقْدَامُ هَمَامٍ، صَابِرُ صَوَامٍ، مُهَذَّبُ قَوَامٍ، شُجَاعُ فُمُقَامٍ، قَاطِعُ الْأَصْلَابِ، مُفَرِّقُ الْأَحْزَابِ، أَرْبَطُهُمْ جَنَانًا، وَأَطْبَقَهُمْ عَنَانًا وَأَجْرَأَهُمْ لِسَانًا، وَأَمْضَاهُمْ عَزِيمَةً، وَأَشَدَّهُمْ شَكِيمَةً، أَسَدٌ بَاسِلٌ، وَغَيْثٌ هَاطِلٌ، يَطْحَنُهُمْ فِي الْحُرُوبِ إِذَا أزدَلَّتِ الْأَسِنَّةُ وَقَرَّبَتِ الْأَعْنَةُ طَحْنَ الرَّحَى، وَيَذْرُوهُمْ ذَرْوَ الرِّيحِ الْهَشِيمِ، لَيْثُ الْجَجَازِ، وَصَاحِبُ الْإِعْجَازِ، وَكَيْبُشُ الْعِرَاقِ، الْإِمَامُ بِالْأَنْصِ وَالْإِسْتِحْقَاقِ، مَكِّيٌّ مَدَنِيٌّ، أَبْطَحِيٌّ تَهَامِيٌّ، خَفِيٌّ عَقَبِيٌّ، بَدْرِيٌّ أُحْدِيٌّ، شَجْرِيٌّ مُهَاجِرِيٌّ، مَنْ الْعَرَبِ سَيِّدُهَا، وَمَنْ الْوَعَى لَيْثُهَا، وَارِثُ الْمَشْعَرَيْنِ، وَأَبُو السَّبْطَيْنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، وَمُظْهَرُ الْعَجَائِبِ، وَمُفَرِّقُ الْكُتَائِبِ، وَالشَّهَابُ الثَّاقِبُ، وَالنُّورُ الْعَاقِبُ، وَأَسَدُ اللَّهِ الْعَالِبُ، مَطْلُوبُ كُلِّ طَالِبٍ، وَغَالِبُ كُلِّ غَالِبٍ، ذَلِكَ جَدِّي عَلِيُّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ، أَنَا ابْنُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ، أَنَا ابْنُ سَيِّدَةِ النِّسَاءِ، أَنَا ابْنُ الطُّهْرِ الْبِتُّولِ، أَنَا ابْنُ بَضْعَةَ الرَّسُولِ (((٣٦).

وسنحلل سوية النصوص الخطابية للإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) على وفق ما ورد من مقدمة نظرية الحجاج وفي المحاور الآتية:

أولاً: وضوح وسهولة الألفاظ.

ثانياً: الدقة والإجادة في تأليف الألفاظ.



ثالثا: البناء الصوري.

أولا: وضوح وسهولة الألفاظ:

فرضت علينا إثبات جزئية (وضوح وسهولة الألفاظ) في النص الخطابي تثبت الخطبة كاملة وكما وردت في مصادرها الأم ؛ لتقصي قدرة المنشئ في التوظيف للأسس البيانية من جهة ، ومن جهة أخرى مشاركة القارئ في الحكم على النص بعد الإطلاع عليه بالكامل ، وكما هو أمامنا في النص، لم نجد لفظا مموجا ثقيلًا في النطق أو لفظا غير واضحة المعنى .

ويبدو لنا بأن قصدية المنشئ واضحة من وراء ذلك ؛ لكون الألفاظ سلسلة مترابطة لتأدية المعنى ، وأن عملية إقحام حلقة غير واضحة أو غير مفهومة ، ستستبعد ذهن المتلقي عن مواصلة المتابعة ومن ثم دق ناقوس الخطر على عملية التواصل الذهني والعاطفي بعد أن فقدت حلقة من حلقاتها التواصلية ، ومما لاشك فيه أن نجاح المنشئ في ربط تلك الحلقات يحقق تأثيرا أنيا ومستقبليا من خلال التصاعد في السلم الحجاجي.

ثانيا: الدقة والإجادة في تأليف الألفاظ:

الانتقال إلى كيفية استثمار المنشئ لجزئية (الدقة والإجادة في تأليف الألفاظ) نجدها حاضرة في كل مفصل من مفصل النص فلنأخذ على سبيل المثال قوله : ((أَيُّهَا النَّاسُ، أُعْطِينَا سِتْرًا وَفُضِّلْنَا بِسَبْعِ، أُعْطِينَا الْعِلْمَ وَالْحِلْمَ وَالسَّمَاخَةَ وَالْفَصَاخَةَ وَالشَّجَاعَةَ وَالْمَحَبَّةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَفُضِّلْنَا بِأَنَّ مِنَّا النَّبِيَّ الْمُخْتَارَ مُحَمَّدًا ، وَمِنَّا الصِّدِّيقَ، وَمِنَّا الطَّيَّارَ، وَمِنَّا أَسَدَ اللَّهِ وَأَسَدَ الرَّسُولِ، وَمِنَّا سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ فَاطِمَةَ الْبَتُولِ، وَمِنَّا))(سُبْحًا هَذِهِ الْأُمَّةَ وَسَيِّدًا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ)).

نجد في هذا النص سلطة بيانية في قضية ممكن أن نطلق عليها (الترنيمة العددية) والتي تستوجب في طرحها أمورا عدة منها:

*- الدقة المتناهية في مواصلة التفصيلات العددية في القادم من الخطاب على وفق منهاج متسلسل ومقنع للمخاطبين.

*- الفصل بين قضيتي (العطاء) و (الفضل)؛ لارتباطهما ببعض الخيوط العامة والتي يمكن أن توضع تحت عنوان (القيم العليا) ويمكن أن نتفق بأن سماع هذه الترنيمة العددية بتفاصيلها الدقيقة ، توجب وتفرض على المتلقي تحفيز طاقاته العقلية والعاطفية كافة لتحقيق



التي تسيدت هذه الأمة والتي يعيش بفضلها
المخاطبون.

بعد ذلك ينتقل المنشئ إلى القول: ((
فَمَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفَنِي أَنْبَأْتُهُ
بِحَسَبِي وَنَسَبِي، أَنَا ابْنُ مَكَّةَ وَمَنِي، أَنَا ابْنُ
زَمْرَمَ وَالصَّفَا، أَنَا ابْنُ مَنْ حَمَلَ الزَّكَاةَ بِأَطْرَافِ
الرِّدَاءِ، أَنَا ابْنُ خَيْرٍ مَنْ انْتَزَرَ وَارْتَدَى، أَنَا ابْنُ
خَيْرٍ مَنْ انْتَعَلَ وَاحْتَفَى، أَنَا ابْنُ خَيْرٍ مَنْ طَافَ
وَسَعَى...))

وعند المقارنة بين هذا النص ونص
آخر في خطب له في الكوفة يقول فيه: ((أَيُّهَا
النَّاسُ، مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفَنِي
فَأَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِي بْنِ أَبِي طَالِبٍ
الْعَلِيِّ، أَنَا ابْنُ مَنْ انْتَهَكْتَ حُرْمَتَهُ، وَسَلَبْتَ
نِعْمَتَهُ، وَانْتَهَبَ مَالَهُ، وَسَبَّ عِيَالَهُ، أَنَا ابْنُ
الْمَذْبُوحِ بِشَطِّ الْفُرَاتِ مِنْ غَيْرِ دُحْلِ وَلَا تُرَاتِ،
أَنَا ابْنُ مَنْ قُتِلَ صَبْرًا، فَكَفَى بِذَلِكَ فَخْرًا، أَيُّهَا
النَّاسُ، فَأَنْشِدُكُمْ اللَّهَ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنْكُمْ كَتَبْتُمْ إِلَى
أَبِي وَخَدَعْتُمُوهُ؟ وَأَعْطَيْتُمُوهُ مِنْ أَنْفُسِكُمْ الْعَهْدَ
وَالْمِيثَاقَ وَالْبَيْعَةَ وَ [قَتَلْتُمُوهُ...))

نجد أن الدقة في اختيار الألفاظ
وتسخيرها ضمن المنظومة التركيبية ملازمة
للنص ، فكما نرى الإعلان المباشر للنسب بعد

التواصل مع المنشئ بغية معرفة أسراره،
وبماذا فضلت عليهم؟

ومن هنا يكشف لنا النص بأن المنشئ
ومنذ البداية شدَّ حيازيم المخاطبين لمتابعة تلك
العطاءات والفضائل ، فانطلق وفق قدراته
الأسلوبية ، وتوظيفاته البيانية لا لتفريق بين
العطاءات والفضائل فحسب ، بل والتمييز بين
تلك الرتب، وعلى وفق سلسلة مترابطة تبدأ (
بالعلم) وتنتهي (بالمحبة) فيعتلي (العلم) القمة
في العطاءات ، وهذا واقع مفروض ولا يمكن
إنكاره ضمن التصورات العقلية القائمة على
المنطق ؛ لكونه أساس العطاءات والخيرات .

ولم تكن دقة اختيار لفظة (العلم) وتقدمها
على بقية العطاءات ، تقل أهمية من ذكر لفظ
(المحبة) في نهاية المطاف ، لكونها النتاج
الحقيقي للتوظيف السليم لهذه العطاءات.

بعدها ينتقل المنشئ بالمخاطبين إلى
الفضائل السبع التي لا يشاركه بها أحد من
الحاضرين، والتي تبدأ بنبي الأمة ومخلصها
وتنتهي بسبطي هذه الأمة الحسن والحسين (
عليهما السلام) ولا يحتاج القارئ في هذا
الموضع إلى التحليل لمعرفة العلاقة القائمة بين
حلقات تلك الفضائل التي ترتبط بقوة بتلك القمة



أوجعها، أفعجها، أفضعها، أفدحها) من قوة الإيقاع في أذن السامع، وتكثيف للصورة لتوضيح المعنى وتوكيده، فلم يخلو النص الخطابي من التوظيف البديعي القائم على تحسين اللفظ المرتبط بأداء المعنى والإقناع، إذ لم تقف وظيفة تلك الألفاظ على تحقيق الزخرفة الشكلية وإنما تجاوزت لتحقيق جانب حاجي هدفه الإقناع إذا ما أدركنا ((أن الآليات القياسية التي تتحكم في بناء الخطاب الطبيعي، تقوم في عمليات التفريق والإثبات والإلحاق، وأن هذه الآليات الاحتجاجية هدفها الإفهام، تبيننا أن أساليب البيان مثل المقابلة والجناس والطباق وغيرها، ليست اصطناعاً للتحسين والبديع وإنما هي أصلاً أساليب للإبلاغ والتبليغ)) (٣٩) ويبدو أن التحليل لجزئية (الدقة والإجادة في تأليف الألفاظ) يتطلب كثيراً من الصفحات؛ لاستيعابها وتوضيحها؛ لظهور معالمها في الخطاب وفي محاور ونماذج متنوعة نكتفي ببيان هذه اللقطات الفنية .

ثالثاً: البناء الصوري:

من يعمن النظر في جزئية (البناء الصوري) في خطب الإمام (عليه السلام) وكيف وظفها في خطابه يجد المنشئ يعلم

عبارة ومن لم يعرفني : ((فَأَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ)) ولم يكن الأمر كذلك في خطبة الشام، فقد أصرح التصريح بالنسب بعد إدخال المخاطبين بمجموعة من التصورات البيانية الدقيقة والتي ترسم أبعاد وعمق هذه الشخصية في التأريخ من خلال سمة الفضائل التي يجمع على معرفتها الحضور المتلهف لمعرفة الخطيب الذي فرض نفسه على تصوراتهم المقررة بضرورة أن تتخذ المكانة ((اللائقة التي يجب أن يتبوأها في السلم الإجتماعي، بل من فرض إرادته في كل ما يمكن أن تتعلق به إرادته)) (٣٧)

ومن مصاديق دقة توظيف الألفاظ وإجادتها في الخطاب ما ورد في قول الإمام (عليه السلام) عند عودته للمدينة قائلاً: ((...فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، مِنْ مُصِيبَةٍ مَّا أَعْظَمَهَا، وَأَوْجَعَهَا وَأَكْظَمَهَا وَأَفْضَعَهَا وَأَمْرَهَا وَأَفْذَحَهَا، فَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُ فِيْمَا أَصَابَنَا...)) (٣٨).

تبدو في النص الخطابي فاعلية (السجع المتوازي) في إيجاد بنية إيقاعية منتظمة متوازية ترنو إليها النفوس وتجذب نحوها الأذهان نتيجة لما أحدثه الوزن الواحد والقافية الواحدة وقصر الفقرة في الكلمات (أعظمها،



فكل جزء منها دليل على دعواه))^(٤١) أي يلجأ المنشئ فيه إلى طرح الفكرة المركزية ومن ثم يبدأ بتأيداتها الفرعية وهذا ما نجده في خطابه الذي يعتلي هرمه الانتماء إلى النسب الشريف وكيفية التعرض له من خلال الفروع الأخرى في خطاب أهل الكوفة فيقول: ((مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفَنِي فَأَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِي بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام أَنَا ابْنُ مَنْ أَنْتَهَكَتْ حُرْمَتُهُ، وَسَلَيْتْ نِعْمَتَهُ، وَأَنْتَهَبَ مَالَهُ، وَسَبَيْ عِيَالَهُ، أَنَا ابْنُ الْمَذْبُوحِ بِسَطِّ الْفَرَاتِ مِنْ غَيْرِ دُخْلِ وَلَا تُرَاتِ، أَنَا ابْنُ مَنْ قُتِلَ صَبْرًا، فَكَفَى بِذَلِكَ فَخْرًا...))

ونستطيع القول بأن المنشئ جزءاً القضية إلى عدة أجزاء وكل ((جزء من هذه الأجزاء يدعم هذه القضية ، بمعنى آخر ممكن أن نعتبر القضية المطروحة بمثابة النتيجة ، وكل جزء هو بمثابة حجة يخدم هذه النتيجة))^(٤٢) وهذا ما سيتجلى لنا في الرسم التوضيحي الآتي:

تماماً أهمية الجانب البياني في تثبيت الحجة وأهمية الأساليب ((البلاغية التي قد يتم عزلها عن السياق البلاغي لتؤدي وظيفة لا جمالية ، بل تؤدي وظيفة إقناعية استدلالية ، ومن هنا يتبين أن معظم الأساليب البلاغية تتوافر على خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية وإنجاز مقاصد حجائية))^(٤٣)، وهذا ما يتجلى خلال توظيف المنشئ أساليب بلاغية منها:

*- أسلوب التفریع.

*- الفن التشبيهي.

*- الفن الكنائي.

ولا يقتصر الحجاج البياني في خطب الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) على هذه الأساليب وإنما تجاوز الحجاج هذه الأساليب ، والتي لا يمكن احتوائها ضمن البحث بصورة شمولية ، إلا إن تلك النماذج تثبت لكيفية توظيف المنشئ هذه الأساليب البيانية في تقوية الحجة واستمالة عقول ونفوس المخاطبين.

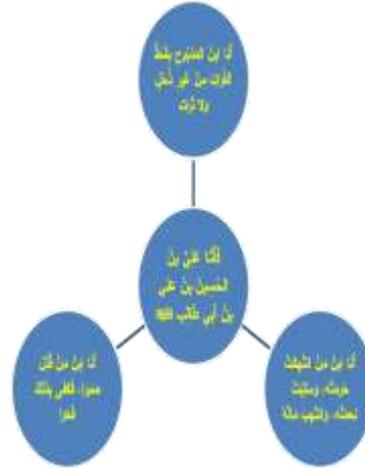
*- أسلوب التفریع:

ويعرف بأنه : ((ذكر المرسل حجته

كلياً في أول الأمر، ثم يعود إلى تعداد أجزائها ،

عن العقل إلى الإحساس، و عما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع))^(٤٣)، إذ يعقد المنشئ بين صورتين ، لا لتحقيق الجانب البياني الجمالي وحسب ، بل ليعمق المنشئ حججه ويبينها بسياق صوري مؤثر ولم يغب ذلك عن ذهن المفكرين والنقاد العرب ، فقال عبد القاهر الجرجاني في ذلك : ((مما إتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته ، كساها أبهة ... فإذا كان مدحا كان أبهى وأفخم... وإن كان حجاجا كان برهانه أنور ، وسلطانه أقر ، وبيانه أبهر))^(٤٤)

وهذا ما نجد مصاديقه جلية في خطب الإمام (عليه السلام) في أكثر من موضع منها قوله في خطبة الشام يصف شجاعة جده : ((شَجَاعٌ مُمَقَّامٌ، قَاطِعُ الْأَصْلَابِ، مُفَرِّقُ الْأَحْزَابِ، أَرْبَطُهُمْ جَنَانًا، وَأَطْبَقَهُمْ عَنَانًا وَأَجْرَأَهُمْ لِسَانًا، وَأَمْضَاهُمْ عَزِيمَةً، وَأَشَدَّهُمْ شَكِيمَةً، أَسَدٌ بَاسِلٌ، وَغَيْثٌ هَاطِلٌ، يَطْحَنُهُمْ فِي الْحُرُوبِ إِذَا ازْدَلَقَتِ الْأَسِنَّةُ وَقَرَّبَتِ الْأَعِنَّةُ طَحْنَ الرَّحَى، وَيَذْرُوهُمْ ذَرًّا رِيحِ الْهَشِيمِ....))^(٤٥)



وأسلوب التفريع وسيلة بيانية ، لا يمكن إنكار جدواها في الحجاج ، ولكنها لا تصلح لكل مقام وبهذا نجد أن المنشئ وظفها في خطبة الكوفة واستبعتها من خطبة الشام وهذا يعود لما سبق ذكره في البحث والمتمثل في معرفة أهل الكوفة لشخصية الإمام السجاد ونسبه ، على عكس بعض المخاطبين من أهل الشام.

*- أسلوب التشبيه:

حجتنا في دخول الأسلوب التشبيهي ضمن تقنيات الحجاج البيانية للنصوص الإبداعية هو الإدراك العقلي لخصيصة هذا الفن وما يتسم به من حكمة : ((أن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جليّ، وتأتيها بصريح بعد مُكنى، وأن تردها في الشيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم وثقتها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها

الهشيم) فرسمت تلك الصور صيغة زمنية مكثفة وشاملة في دخولها تفاصيل الأزمنة على مر العصور في النص الخطابي فقررت حال المشبه وأكدت صفته بالرغم من مضي الحقبة الزمنية المستغرقة للحدث، إلا أنها شكّلت بصيغة زمنية شاملة للماضي والحاضر والمستقبل لما منحه الفعل المضارع (يطحنهم)، (يذروهم) في الصورتين وهذا ما يثير القلق والاضطراب والخوف في نفوس السامعين^(٤٦)، بعد أن يولد قناعات راسخة في تلك النفوس الراغبة بمنح الحجج للوصول للحقيقة التي قد شككوا فيها من قبل توجيه الخطاب.

أسلوب الاستعارة:

أسلوب الاستعارة هو واحد من أهم أساليب بناء الصورة الفنية في الخطاب الأدبي شعرا كان أم نثرا، وأهميته تكمن في انه يمتلك ((جمالية قادرة على تحريك وجدان المتلقي والفعل فيه فإذا انضافت تلك الجمالية الى حجج متنوعة وعلاقات حجاجية تربط بدقة أجزاء الكلام وتصل بين أقسامه، أمكن للمتكلم تحقيق غايته من الخطاب))^(٤٧) وهذا ما نجده في الاستعارات التي توزعت نص الخطاب عند الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) ومن ذلك

ويمكن أن نعيد هذه العبارات بالمخطط البياني الآتي ، لإظهار الحجج المقدمة من المنشئ للوصول إلى النتيجة في ذكره مجموعة من الحجج لتتضافر مجتمعة لتحقيق البرهنة على دعواه ، والتي لاشك أن حذف إحداها ، سيقفل من قناعة المتلقي وأن زيادتها سيولد إيمانا تاما لما ذهب إليه المنشئ :

الحجة الأولى (قاطع الأصلاب)

النتيجة

((شجاعة النسب))

الحجة الثانية (مفرق الأحزاب)

الحجة الثالثة (أسد باسل)

فالمنشئ كما يبدو أنه يريد يقنع المتلقيين بشجاعة هذا النسب وشرفه ، وقد حقق ذلك ، لما طرحه في الخطاب من حجج أوصلته لمرحلة البرهان ، فعمق المعنى ورسخه في ذهن المخاطب من خلال تقنيات الحجج البيانية لا سيما فن التشبيه الذي قام على عقد مجموعة من الصور التشبيهية منها (طحنهم في الحروب طحن الرحا) والصورة التشبيهية (ويذروهم فيها ذرو الرياح

ان تظهر بمظهر البداهة العقلية فيقدم فيها (الحجاج على الجمال))^(٤٩) الذي يبدو جليا في النص ، متمكنا من تقديم خاصية الحجاج المؤطر بأسلوب بلاغي قادر على النفاذ الى المتلقي الذي هو مقصد الخطيب ، وفي النص وغيره من خطب الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) توظيف دقيق لهذا الفن البلاغي الذي يمتلك قابلية تأثير قوية وفاعلة في المتلقي.

اسلوب الكناية:

أسلوب الكناية من الأساليب التي تعطي للنص الأدبي معنيين أحدهما قريب غير مقصود وقد يكون مقصودا أيضا وآخر يختفي خلف النص وهو الذي يسعى اليه منشئ النص الأدبي؛ لما له من تأثير قوي في المتلقي ولما يمتلكه من مهارة فنية هي مانحة للنص سمة جمالية تكون ذات تأثير حجاجي يسعى اليه الخطيب لتحقيق الإقناع أو الاستمالة أو المشاركة أو التغيير ،ومن التراكيب اللغوية التي اعتمدت أو قدمت الكناية قول الإمام (عليه السلام) في الخطبة ذاتها وعند المتلقين أنفسهم وهم أهل الكوفة والذين شهدوا الواقعة أو شاركوا فيها ،فانه يقول مقسما: ((كلا ورب الراقصات فان الجرح لما يندمل))^(٥٠)

قوله : ((فلم ينسني ثكل رسول الله وثكل أبي ،بين لهازمي ومرارته بين حناجري وحلقي ،وغصصه تجري في فراش صدري، ومسألتي أن لا تكونوا لنا ولا علينا))^(٤٨) .

فأقد وظفت الاستعارة بشكل مكثف في التراكيب(مرارته بين حناجري) فصار للحدث المأساوي مرارة أي انه استعار طعم المرارة للتعبير عن الألم الذي أصابه وما تركه في نفسه مستغلا حاسة الذوق ليبدل بها عن حالة نفسه هي وجدت ذلك انسب السبل في الدلالة وفي إيصال المعنى ،اذ استطاعت الاستعارة هنا ان تنقل المعنوي الى المادي المحسوس واستغلت إحدى أهم الحواس وهي حاسة الذوق ، وكأنه يريد ان يوحي لهم بما هم عليه من عدم الإحساس إلا بما يأكلون وهم عند ذلك يشاركون من هو ادني منهم من المخلوقات، اذ ابتعد عن مخاطبته وتصوير الألم الذي يعانیه عن المعنوي وهو الأعلى في سلم العقل الى ما هو أدنى منع المحسوس ،وهذه الصور تبدو((قوية الطاقة الحجاجية ،فهي تلوح صورا عفوية ،افتضاها منطق النص ونسق الأقوال فيه، فهي لا تقصد في ذاتها لتتنهر وتثير المتلقي بما فيها من جمالية وانما يحرص صاحبها على



بأن هناك من المواضع ما ترتقي لمستوى البرهان حتى وإن كانت داخلية في مجال الخطاب اللغوي ، كونها مجموعة من الشرائع والمعتقدات والقيم والمبادئ الراسخة عند الجمهور وهذا ما نجده في النصوص القرآنية المباركة والأحاديث النبوية الشريفة وحتى أقوال صحابة رسول الله المنتجبين وأهل بيته المعصومين (عليهم السلام)

ثانياً : لما كان الحجاج الشفوي حجاجاً مختزلاً ومكتفياً ولا يحتاج للتطوير أو الإسهاب في بسط الحجج وحشد الأدلة فإن المنشئ عمد في خطبة الكوفة لتحقيق تلك التقنية ، فجاء الإختزال معتمداً على دلائل محددة قادرة على تحقيق الغرض والإيفاء بالمقصد الذي سعى إليه النص بكل ما حمل من أدلة عقلية وبلاغية، وهذا ما نلمسه في خطابه لأهل الكوفة ، ولعل ذلك يرجع إلى أنهم أقرب إلى الحدث وألصق بالقضية وأدرى بالفاجعة وأوعى بما لهذا البيت من حسن سيرة وخلق ، فهم أما من عايش عصره بخلافة الإمام علي (عليه السلام) أو صحبه أو سمع به من أقرب ناسه ، فليس العهد يبعيد ؛ لذلك صار الدليل الذي عرض دليلاً لا ينفص، فحقق غرضاً مهماً في الخطاب وعليه

وفقد قدم قسماً استعمل من أجله أسلوب الكناية في إيحاء ربما نستطيع أن نعتقد بصحته ، هو غير الذي أصاب الناس والتغير الذي سيحدث بهم لارتكابهم فعلتهم الشنيعة ، فكان المراد أن الراقصات هن متحركات غير ثابتات وكذلك أحوالكم أيها المخاطبون الذين ظننتم أنكم استمكنتم واستقر لكم الحال وجرت الأمور حسب أهواكم فلا بد من تغير قادم وهو ما حدث فعلاً.

الخاتمة والنتائج:

تجلت لنا من خلال دراسة وسائل الحجاج في خطب الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) مجموعة من النتائج أهمها:

أولاً: كشف البحث الخلط بين البرهان والحجة في الكتابات المعاصرة والتي تقلل من تلك الفروقات وتعمل على إلغائها تماماً ، إلا أننا مع الرأي الذي يرى أن البرهان ينتمي في الأصل إلى مجال الاستدلالات الإستنباطية المنطقية والرياضية بينما ينتمي الحجاج إلى مجال الخطاب الطبيعي ؛ على أن العبارات التي ترد في الصياغة البرهانية ترد صارمة من دون مراعات للقيم الداخلية التي تتضمنها هذه العبارات ، إلا أن من الضرورة بمكان الإشارة



لأنه استطاع مخاطبة واستثارة القيم التي يفتخرون بها، فهم قدموا قيم الغدر وأخروا قيم الوفاء ، وهذا ما لا يريدون سماعه، لكن الخطاب قد استند الى هذه الحجة التي رآها قدرة على التأثير لا بل التغيير، الذي تحدث عنه راوية كثيرة نقلت هذه الخطبة، بينما وظف الاستدعاءات المكانية (زمزم- الصفا) في خطبة الشام لتكون عاملا في جلب المتلقي وتغيير سلوك المستقبلين.

خامسا: كشف البحث العلاقة اللصيقة بين (البيان) و (الحجاج) ، كون الأخير يتواشج في جذره بما تتطلبه وتستدعيه أساليب اللغة من جهة ، وكذلك قدرة المتعاطي للبيان في توظيف تلك المعطيات اللغوية ، لخدمة الموقف كون العلاقة متبادلة بين الإثنين ، لحصد ثمار النجاح وتحقيق الهدف أو الغاية المنشودة القائمة على التأثير في المخاطبين وإقناعهم.

سادسا: كشف البحث عن قدرة المنشئ في تقنياته الحجاجية البيانية من خلال محور دقة الألفاظ ومتانتها ووضوحها فلم نجد لفظا ممجوجا ثقيلًا في النطق أو لفظا غير واضح المعنى فالألفاظ سلسلة مترابطة الحلقات مما أدى لتحقيق التأثير الآني والمستقبلي .

استند فيما بعده من حجج دامغة ، جعلت الخطاب خطابا حجاجيا بامتياز.

ثالثا: جاءت وسائل الحجاج العقلية وحتى العاطفية على وفق سلم تصاعدي فعال تقدمت طبقا لما يقتضيه الموقف ، بشكل قيم وحقائق تفاعلت من خلالها أذهان وعواطف المتلقين وعملت على تبديل توجهات الجمهور وتغيير تصورات الرمزية والعقدية ، وهذا التأثير والتغيير رصدته فذكرته أغلب المصادر الموثقة لخطب الإمام ومنها خطبة الكوفة التي ارتفعت بعدها أصوات الجمهور من كل ناحية داعية على نفسها بالهلاك.

رابعا: وظّف المنشئ مجموعة من الاستدعاءات المتوارثة والمقدسة عند المتلقي ؛ لتدعيم الحجاج على وفق المواقف والأماكن ، ففي الكوفة رفض قيمة القتل والظلم الذي اقترفته أيدي الظالمين ، وقارنها بقيمة أخرى ، هي قيمة الشجاعة والثبات على المبادئ التي عبر عنها بقوله: ((فكفى بذلك فخرا)) ولا تقتخر العرب إلا بالثبات والشجاعة وهي قيمة عليا عندهم ، وبذلك يكون الخطاب قد فند حججهم وأكد حجته بما أثاره من قيم يعتزرون بها ، إذ تمكن الخطاب من التأثير في نفوسهم ؛



سابعاً: كشف البحث عن القدرات الإسلوبية والتوظيفات البيانية لبعض النماذج ؛ لصعوبة التوسع وشمول النماذج والقدرات التعبيرية كافة ، بسبب محدودية وشروط البحوث العلمية المكثفة ، لذلك فبالإمكان دراسة هذا الموضوع في مشروع ماجستير لجدته وكثرة توظيفاته البلاغية التي تحتاج لدراسة أوسع وصفحات أكثر .

هوامش البحث:

- ١ - لسان العرب : ٢٢٨/٢ .
- ٢ - م. ن : ٢٢٧/٢ .
- ٣ - سورة البقرة - الآية : ٢٥٨ .
- ٤ - سورة البقرة - الآية : ١٥٠ .
- ٥ - مفهوم الحجاج في القرآن الكريم - دراسة مصطلحية - د. لمهابة محفوظ ميارة - مجلة مجمع اللغة العربية - بدمشق - مج ٨١ ج ٣ / ٣٠ .
- ٦ - مقدمة ابن خلدون : ١٠٧٦/٣ .
- ٧ - الحوار في القرآن الكريم - قواعد ، أساليبه ، معطياته - محمد حسن فضل الله - دار المنصوري - قسنطينة : ١٨/١ .
- ٨ - البلاغة والاتصال - جميل عبد المجيد - دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٠٥ : ٢٠٠٠ .
- ٩ - الوصايا الأدبية الى القرن الرابع الهجري - مقارنة أسلوبية حجاجية - عبد الله بهلول - الانتشار العربي - ط ١ - بيروت - ٢٠١١ : ١٠١ .
- ١٠ - الحجاج - مفهومه ومجالاته - دراسات نظرية وتطبيقية في البالغة الجديدة - إعداد - د. حافظ اسماعيلي عليوي - عالم الكتب الحديث - اربد - ٢٠١٠ : ج ٣/١ .
- ١١ - مقتل الخوارزمي : أبو المؤيد الموفق بن أحمد أخطب خوارزم (ت ٥٦٨) : تج. محمد السماوي: منشورات أنوار الهدى: قم: ط ٣ : ٢٠٠٥ م : ٧٦/٢ - ٧٨ .
- ١٢ - المصدر نفسه : ٣٨/٢ .



- ١٣- دراسات في الحجاج -قراءة لنصوص مختارة من الادب العربي القديم -د.سامية الدريدي الحُسنِي- عالم الكتب الحديث ط١- اربد -٢٠٠٩: ١٢١
- ١٤ -الحجاج مفهومه واتجاهاته: ٣.
- ١٥ - الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه- د.سامية الدريدي - عالم الكتب الحديث -الأردن - ط٢ -٢٠١١: ٢٧٠.
- ١٦ - الاحتجاج: ٢٩/٢.
- ١٧ - الحجاج -مفهومه ومجالاته: ٣.
- ١٨ - ط: الحجاج مفهومه ومجالاته - دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة : اعداد وتقديم د. حافظ اسماعيل علوي: عالم الكتب الحديث: اربد- الأردن: ٢٠١٠م: ١٨٥.
- ١٩ - الاحتجاج: ٢٩/٢.
- ٢٠ - الحجاج مفهومه ومجالاته: ١٨٧.
- ٢١- ينظر :البلاغة والاتصال: ١٠٥.
- ٢٢ - ينظر : التلقي والإبداع (قراءات في النقد العربي القديم) : د. محمود درابسة: دار جريز: الأردن- أربد : ط١: ٢٠١٠م: ١٩.
- ٢٣ - الحجاج في البلاغة المعاصرة: د. محمد سالم الأمين: دار الكتاب الجديد المتحدة: لبنان: ط١: ٢٠٠٨م: ٦٢.
- ٢٤ - في الملهوف : (قاتلتموه) .
- ٢٥ -الاحتجاج : ٢٩/٢، الملهوف : ١٩٩، مثير الأحزان : نجم الدين جعفر بن هبة الله بن نما الحلبي، نشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، (د.ت) : ٨٩-٩٠، بحار الأنوار : ١١٢/٤٥-١١٣، باختلاف بين المصادر في بعض الألفاظ .
- ٢٦- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: طه عبد الرحمن : ٢٧٧.
- ٢٧- مقتل الخوارزمي ٧٦/٢-٧٨ .
- ٢٨ - تاريخ العرب قبل الإسلام: د. جواد علي: بغداد: ١٩٥٦م: ٦/٣٢٦.
- ٢٩ - إشكاليات القراءة وآليات التأويل : حامد نصر أبو زيد: المركز الثقافي العربي: المغرب: ط٥: ١٩٩٩م: ٣٦.
- ٣٠ - نظرية التلقي : إشكالات وتطبيقات: عبد العزيز طليمات: كلية الآداب: المغرب: جامعة محمد الخامس: ط١: ١٩٩٧م: ١٧٣.
- ٣١ - الحجاج في البلاغة المعاصرة: ١٠٧.
- ٣٢ - الاحتجاج: ٢٩ /٢.
- ٣٣- الاحتجاج : ٢٩/٢، الملهوف : ١٩٩، مثير الأحزان : نجم الدين جعفر بن هبة الله بن نما الحلبي، نشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، (د.ت) : ٨٩-٩٠، بحار الأنوار : ١١٢/٤٥-١١٣، باختلاف بين المصادر في بعض الألفاظ .
- ٣٤ - الحجاج في البلاغة المعاصرة: ١٠٨.



- ٣٥ - النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : الرماني: تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام : مصر: دار المعارف: ط٢: ١٩٦٨:
- ٣٦ - مقتل الخوارزمي : أبو المؤيد الموفق بن أحمد أخطب خوارزم (ت ٥٦٨هـ) : تح. محمد السماوي: منشورات أنوار الهدى: قم: ط٣: ٢٠٠٥م: ٧٨-٧٦/٢ .
- ٣٧ - ما الخطاب وكيف نحلله: د. عبد الواسع الحميري: بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات : ط١: ٢٠٠٩م: ٨٤.
- ٣٨ - الملهوف: رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طوس(ت٥٦٤هـ) دار الأسوة : قم: (د.ت): ٢٢٨ وينظر: مثير الأحزان: نجم الدين جعفر بن هبة الله بن نما الحلبي (ت٥٨٤١هـ) نشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام: قم: (د.ت): ١١٣ .
- ٣٩ - مراتب الحجاج وقياس التمثيل: طه عبد الرحمن: مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية: جامعة سيدي محمد بن عبد الله: المغرب العربي: العدد ٩: ١٩٨٧م: ١٨.
- ٤٠ - التداولية والحجاج مداخل ونصوص: صابر الحبايشة : صفحات للطباعة والنشر: سوريا: ط١: ٢٠٠٨م: ٥٠.
- ٤١ - استراتيجيات الخطاب: عبد الهادي بن الظاهر الشهري: ٤٩٤.
- ٤٢ - الحجاج في الإمتاع والمؤانسة: ٨١.
- ٤٣ - أسرار البلاغة في علم البيان : عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ): تح. عبد الحميد هنداوي: دار الكتب العلمية : بيروت- لبنان: ط١: ٢٠٠١م: ٩٣.
- ٤٤ - المصدر نفسه:
- ٤٥ - مقتل الخوارزمي: ٧٨ / ٢ وينظر: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار : للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي: (ت ١١١٠هـ) دار إحياء أحياء التراث العربي: بيروت_ لبنان: ط٣: ١٩٨٣م : ٤٥ / ١٣٩.
- ٤٦ - ظ: التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية: هادي سعدون العارضي: لبنان- بيروت- ط١: ٢٠١١م: ٩٥.
- ٤٧ - الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه- د.سامية الدريدي - عالم الكتب الحديث -الأردن - ط٢ - ٢٠١١م: ١٢٠.
- ٤٨ - مقتل الخوارزمي: ٣٨/٢
- ٤٩ - دراسات في الحجاج -قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم -د.سامية الدريدي الحُسنِي- عالم الكتب الحديث - ط١- اربد -٢٠٠٩م: ١٢٦.
- ٥٠ - مقتل الخوارزمي: ٣٨/٢.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١. الاحتجاج: أبو منصور احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي (ت ٥٢٠هـ)، تعليقات، محمد باقر الموسوي الخرساني، منشورات ذوي القربى، الظهور، قم- إيران، ط١، ١٤٢٦هـ .



٢. أسرار البلاغة في علم البيان : عبد القاهر الجرجاني (ت٥٤٧١هـ): تح. عبد الحميد هندأوي: دار الكتب العلمية : بيروت- لبنان: ط١: ٢٠٠١م.
٣. إشكاليات القراءة وآليات التأويل : حامد نصر أبو زيد: المركز الثقافي العربي: المغرب: ط٥: ١٩٩٩م .
٤. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي (ت١١١٠هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
٥. البلاغة والاتصال -جميل عبد المجيد- دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع -القاهرة - :٢٠٠٠م.
٦. تاريخ العرب قبل الإسلام: د. جواد علي: بغداد: ١٩٥٦م .
٧. التلقي والإبداع (قراءات في النقد العربي القديم) : د. محمود درابسة: دار جرير: الأردن- أربد : ط١: ٢٠١٠م.
٨. التداولية والحجاج مداخل ونصوص: صابر الحباشنة : صفحات للطباعة والنشر: سوريا: ط١: ٢٠٠٨م. التعريفات: الشريف علي بن محمد الجرجاني :تح. إبراهيم الإيباري: دار البيلن العربي: بيروت :ط١: ١٩٩٢م.
٩. الحجاج في البلاغة المعاصرة: د. محمد سالم الأمين: دار الكتاب الجديد المتحدة: لبنان: ط١: ٢٠٠٨م.
١٠. الحجاج - مفهومه ومجالاته -دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة - اعداد -د.حافظ اسماعيلي عليوي - عالم الكتب الحديث - اربد -٢٠١٠: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه- د.سامية الدريدي - عالم الكتب الحديث -الأردن - ط٢- ٢٠١١:
١١. الحوار في القرآن الكريم - قواعده ،أساليبه، معطياته- محمد حسن فضل الله -دار المنصوري - قسنطينة :
١٢. دراسات في الحجاج -قراءة لنصوص مختارة من الادب العربي القديم -د.سامية الدريدي الحُسنِي- عالم الكتب الحديث -ط١- اربد -٢٠٠٩م.



١٣. ما الخطاب وكيف نحلله: د. عبد الواسع الحميري: بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات : ط١ : ٢٠٠٩م. لسان العرب: ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم: دار صادر: بيروت: ط٣: ١٩٩٠م.
١٤. اللهوف (الملهوف) على قتلى الطفوف: رضي الدين ابو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت٦٦٤هـ)، دار الأسوة، قم، (د.ت)
١٥. مثير الأحزان : نجم الدين جعفر بن هبة الله بن نما الحلبي، نشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، (د.ت) .
١٦. مفهوم الحجاج في القرآن الكريم -دراسة مصطلحية -د.لمهابة محفوظ ميارة -مجلة مجمع اللغة العربية -بدمشق.
١٧. مقتل الخوارزمي : أبو المؤيد الموفق بن أحمد أخطب خوارزم (ت ٥٦٨) : تح. محمد السماوي: منشورات أنوار الهدى: قم: ط٣: ٢٠٠٥م.
١٨. نظرية التلقي : إشكالات وتطبيقات: عبد العزيز طليمات: كلية الآداب: المغرب: جامعة محمد الخامس: ط١: ١٩٩٧م.
١٩. النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : الرماني: تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام : مصر: دار المعارف: ط٢: ١٩٦٨.
٢٠. الوصايا الأدبية إلى القرن اربع الهجري- مقارنة اسلوبية حجاجية - عبد الله بهلول - الانتشار العربي - ط١ - بيروت - ٢٠١١م.

المجلات :

٢١. مفهوم الحجاج في القرآن الكريم :دراسة مصطلحية : د.لمهابة محفوظ ميارة : مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق.
٢٢. مراتب الحجاج وقياس التمثيل: طه عبد الرحمن : مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية: جامعة سيدي محمد بن عبد الله : المغرب العربي: العدد ٩: ١٩٨٧م.